



سورة الأنبياء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ (22)﴾

شرح الكلمات:

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا} أي: السماوات والأرض **{آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ}** أي: غيره **{فَسَدَتَا}** أي: خرجتا عن نظامهما المتشاهد لوجود التماثل بينهما **{يَبْتَهُم}** على وفق العادة عند تعدد الحكام من التماثل في الشيء وعدم الاتفاق عليه **{فَسُبْحَانَ}** ثنائه **{اللَّهُ رَبُّ}** خالق **{الْعَرْشِ}** الكرسي **{عَمَّا يَصِفُونَ}** الكفار الله به من الشريك له وغيره

المعنى الإجمالي:

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا} أي: في السماوات والأرض آفة غير الله تعالى لفسدتا لأن تعدد الآفة يقتضي التنازع والتماثل هذا يريد أن يخلق كذا وهذا لا يريد هذا يريد أن يعطي كذا وذلك لا يريد فيخلق نظام الحياة وتفسد. ومن هنا كان النظام الحياة هذه القرون العديدة دالاً على وحدة الخالق الواجب الوجود الذي تجب له العادة وحده دون من سواه، فلذا نزه تعالى نفسه عن الشريك وما يصفه به المطلقون من الزوجة والولد فقال: **{فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}**

{وَلَوْ} حرف امتناع لامتناع، أي امتنع الفساد في الوجود لامتناع أن يكون فيهما غير الله، فهو يسري في نظام لا يخلف، فالنجوم في مساراتها، والشمس والقمر يجريان بحسان، والليل

والنهار يتعاقبان من غير تخلف. لو كان في السماء والأرض آفة شئ تدبر أمرها غير الواحد الأحد الفرد الصمد الذي فطر السموات والأرض لفسدتا إذ من المعلوم أن أي عمل يفسد بتدبير رئيس كل يدعي لنفسه حق الرياسة والتوجيه لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف ولما أقام الله سبحانه وتعالى - الأدلة القاطعة على التوحيد قال: فسبحان الله رب العرش عما يصفون: نزه الله نفسه، وأمرنا أن نزهه عما يصفه المشركون. فهذا ونحوه مما يدل عقلاً على أن العالم خالقه واحد وهو الله تعالى، وهو المنصرف في هذا الكون كما يشاء.

وهذه الآية في سورة الأنبياء: **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}** [الأنبياء: 22] هي من أوضح الأدلة على توحيد العباد، وفيها أنه إذا قدر أن فيهما آفة إلا الله فإن كل إله أو كل خالق يدبر ما من شأنه أن يستطيعه، ويحرص على أن يغلب على من إلى جانبه، فلا تنظم هذه الأفلاك ولا هذه المخلوقات، بل يحصل فيها شيء من الخلل، ويحصل فيها شيء من الاضطراب، ومثل ذلك مشاهد، فإنه لو قدر أن هناك شريكين في أمر فكل منهما يجب أن يكون هو المسيطر وهو المسيطر، ولكان كل منهما يهمل الذي في جانب الآخر، فيقع الإهمال والاختلال، فلما رأينا الأمور منتظمة عرفنا أنه ليس فيهما آفة إلا الله وحده. وكذلك القلب إذا كان فيه آفة متعددة فسد، فلا بد أن يتعلق بخالقه جل وعلا بحمة ورجاء وخوفاً.

أهمية التوحيد وثمراته:

- 1- التوحيد من أجله خلق الله الخلق:
قال - تعالى - : **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: 56]
- 2- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها:
قال - تعالى - : **{فَاقِمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [الروم: 30]

- 3- التوحيد من أجله أخذ الله الميثاق على بني آدم
- 4- التوحيد من أجله أرسل الله الرسل:
قال - تعالى - : **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء: 25]
- 5- التوحيد من أجله أنزل الله الكتاب.
- 6- التوحيد هو أول ما ندعو الناس إليه:
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعاذ بن جبل - رضي الله عنه - : **{إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوْحِدُوا اللَّهَ - تَعَالَى}**

- 7- التوحيد من أجله انقسم الناس إلى مؤمن وكافر وبينهما ولاء وبراء
- 8- التوحيد شرط في النصر والنكاح.
- 9- التوحيد شرط في الأمن والاهتداء.
- 10- التوحيد هو الكلمة السواء التي بينا وبين أهل الكتاب
- 11- التوحيد شرط في قبول الأعمال.
- 12- التوحيد هو حق الله على العبد.
- 13- التوحيد أول ما يسأل عنه العبد في قبره
- 14- التوحيد شرط في دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار

التوحيد قد قسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام وهي:

- توحيد الربوبية**، **وتوحيد الألوهية**، **وتوحيد الأسماء والصفات**.
- توحيد الربوبية**: هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة، ونحو ذلك.
- وتوحيد الألوهية** هو: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العادة عن كل ما سوى الله كالنار من كان وهذا النوع هو الذي وقع فيه الخلل، ومن أجله بعثت الرسل وأنزلت الكتب، ومن أجله خلق الخلق.
- وأما توحيد الأسماء والصفات** فهو: إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات.

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (450)



هذا هو الحق



قوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

تعالى ولا ناع
ولا نسونا من صالح دعائكم

أعدّها (عزمي إبراهيم عزيز)

1

9-الله سُخَّانَةٌ وتعالى ذكر أهم اتخذوا آلهة في الأرض، وأما السماء فالإن الملائكة المقربين لم يعبدوا غير الله، ولم يتخذوا إلها غيره؛ فالصلاح فيها ظاهر، والصلاح ظاهر في المكان الذي يعبد فيه الله وحده في الأرض، وأما المكان الذي يعبد فيه مع الله غيره؛ فإن فيه أكبر الفساد وأعظمه وهو الشرك.

10-أن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله وأنه لا صلاح هما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره.

12-ما يشاهده الإنسان من استقامة أمر العالم وانتظامه، دليل صريح على أن إله العالم ومدير شئونه إله واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

13-أن الفساد يلزم من وجود إلهين، وأنه لا صلاح للسماوات والأرض إلا بأن يكون فيهما معبود واحد، وأن يكون هذا المعبود هو الله وحده؛ لأن السماوات والأرض إنما قامت بالعدل، وأعدل العدل هو توحيد الله عز وجل، وأظلم الظلم هو الشرك.

14-الذي خلق هو الذي يعبد وهو الذي يشكر على ما أنعموا ذلك الذي انقلبت عليه الرسل على وجوب عبادة الله وحده وتحريم الشرك به.

15-وقال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22] أي: لفسدت السماء والأرض؛ فإن رب الشمس والعباد بالله لو اختلف مع رب القمر فإنه سبحانه سبحانه الشمس، ومصابح الأنهار ينصبك بأنهاره، ففسد الأرض ولا تكون ثمة حياة في هذه الدنيا. فكل إله يذهب بما خلق ويعلو بعضهم على بعض.

16-أظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد، وتوحيد الإلهة متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس؛ فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. والله اعلم... صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

6

الفوائد :

1- التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن لتوحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له
2- لا يستحق أن يكون معبوداً محبباً لذاته إلا هو جل وعلا، وكل عمل لا يبرأ به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحجب غيره يوجب الفساد.

3- قال ابن كثير: أي: لو فُتِر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود.

والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال: **مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَلَافُوتٍ.**

4- من اعتقد أن هناك خالقاً غير الله، أو مالكا لهذا الكون متصرفاً فيه غير الله فقد أحل بهذا النوع من التوحيد، وكفر بالله
5- التوحيد هو حقيقة شهادة (**أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**) وأن هذا هو الإسلام الذي بعث الله به نبيه إلى جميع القبلين من الإنس والجن والذي لن يرضى الله من أحد دينا سواه
6- توحيد الألوهية هو: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملًا، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله كأننا من كان كما قال تعالى: (**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**) [الأنبياء: 23].

7- في الآية مقام الصانع أي: لو كان فيها آلهة غير الله لفسدت السماوات والأرض، فلما لم تفسد السماوات ولا الأرض، فإنه لا يوجد آلهة غير الله عز وجل.

8- التوحيد الذي قرره الله سُخَّانَةٌ وتعالى في هذه الآية ليس هو توحيد الخلق لتوحيد الربوبية، وإنما المسراد بالتوحيد هنا هو: توحيد الألوهية، وهو موضوع المعركة بين الأنبياء والرسل وبين قلوبهم.

5